زايدة عليها في النحو ومفرقة في المدح باعراضه عنها وزهده في فائتها وبذلها
في مظانها والله الموفق فصل قال القاضي المؤلف رضي الله عنه واما الخصال
المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل
صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على
جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها
بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس
واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال في غايتها حتى اثنى
الله تعالى عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق قال انس كان رسول الله عليه السلام احسن الناس خلقا وعن
علي كرم الله وجهه بن ابي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في
اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهي و
خصوصية ربانية وهكذا سائر الانبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم
حقق ذلك كما عرف من حال موسى عليه السلام وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم
السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة
قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله تعالى في
حال صباه وقال ابن معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب
معنا اللعب خلقت وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن
ثلث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه
فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له
وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها الا تحزني على
قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده

فقال

فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال الله تعالى ففهمناها سليمان
وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة
وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري ان عمره كان حين
اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته
وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى وآتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه
صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال
بعضهم لما ولد ابراهيم عليه السلام بعث الله ملكا يامره عن الله ان يعرفه بقلبه
ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فهو رشده وقيل ان القاء ابراهيم في النار
ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحق بالذبح وهو ابن
سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن
خمسة عشر شهرا وقيل اوحي الى يوسف عليه السلام وهو صبي عندما هم اخوته
بالقائه في الجب بقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون
الى غير ذلك مما ذكر من اخبارهم وحكى اهل السير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان
نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه
الى السماء وقال في حديثه لما نشأت بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر
ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد
ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله تعالى عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم
حتى يصلوا الغاية ويبلغوا النهاية باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل
هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما
بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه
الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى
كما نشاهده من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان
او السماحة كما نجد بعضهم على اضدادها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة
يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت

Copyright © King Saud University